مجلة المجمع العلمي

الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية
في الطب العربي الإسلامي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد
طبيب أطفال – الموصل

الملخص :

استعرض البحث ما ذكره الأطباء العرب والمسلمون حول الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية في محورين :

أولا – ما جاء ذكره من التشوهات الخلقية في كتبهم :حيث ذكروا حالات بسيطة كشقاق الشفة، الرباط تحت اللسان ، سدة الأذن ، تشوهات الأصابع ، المقعدة غير المثقوبة إنسداد مجرى البول الولادي ، تشوهات في العين . كما ذكروا حالات نادرة كالتوائم الملتصقة ، وحالات الخنثى .

ثانيا :أسباب التشوهات الخلقية وتغيرات الشكل والهيئة : وشملت تعليلاتهم أسباب وراثية ، وعمر الوالدين ، ومسألة الهورمونات ، وأسباب أخرى ثانوية كالتغيرات في غذاء الحامل ، وإصابات الوليد أثناء الولادة .

أولا – ما جاء ذكره من التشوهات في كتبهم :

لقد وضع ابن سينا في فصل (في أمراض التركيب) الخطوط العريضة لأمراض الخلقة بشكل موجز وشامل ، يقول ((وأمراض الخلقة تنحصر في أجناس أربعة :

١- الاول ــ أمراض الشكل : وهو أن يتغير الشكل عن مجراه الطبيعي فيحدث تغيره آفة في الفعل كاعوجاج المستقيم واستقامة المعوج وتربع

المستدير واستدارة المربع ، ومن هذا الباب مسقط الرأس إذا عرض منه ضرر وشدة استدارة المعدة .

٢- والثاني - أمراض المجاري : وهي ثلاثة أصناف لأنها ، إما أن تتسع ، كانتشار العين وكالسبل وكالدوالي . أو تضيق كضيق نقب العين ومنافذ التنفس والمريء ، أو تنسد ، كانسداد الثقبة العنبية وعروق الكبد .

٣- والثالث - أمراض الأوعية والتجاويف : وهي على أربعة أصناف :

١ . إما أن تكبر وتتسع كاتساع كيس الانثيين .

٢ . أو تصغر وتضيق كضيق المعدة وضيق بطون الدماغ .

٣ . أو تنسد وتمتلئ كانسداد بطون الدماغ .

٤ . أو تتسع وتخلو .

٤- والرابع - أمراض صفائح الأعضاء : إما بأن يتلمس ما يجب أن يخشن كالمعدة والمعي إذا تلمست أو يخشن ما يجب أن يتلمس كقصبة الرئة إذ خشنت))[١] .

ثم يتكلم على أمراض العدد فيقول ((وإما أن يكون من جنس الزيادة وتلك إما طبيعية كالسن الشاغبة والإصبع الزائد ....))[٢] .

وجاء ذكر بعض أنواع التشوهات الخلقية البسيطة والكثيرة الحدوث لدى أغلب الأطباء العرب من ذلك : ١ . شقاق الشفة ٢ . الرباط تحت اللسان ٣ . سدة الأذن ٤ . تشوهات الأصابع ٥ . المقعدة غير المثقوبة ٦ . انسداد مجرى البول

---

[١] ابن سينا: القانون (مصدر سابق) ، ج ١ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

[٢] المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٧٥ .

الـــولادي ٧ . الخنثـــــى ٨ . تجمـــع المـــاء فـــي رؤوس الـــصبيان ٩ . أمـــراض العـــين (الحـــول، انـــسداد مجـــرى الـــدمع، الـــشترة) ١٠ . صغر الرأس الولادي .

وقد خصص الجاحظ كتابا كبيرا لذكر ذوي العاهات والعيوب ســماه ((كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان)) جاء فيه ذكر لعدد هائل من ذوي العاهات ومن بينهم عدد ولدوا بها وقصد في تأليفه الكتاب ((أن يجلو صورة ناصعة مشرقة لذوي العاهات الذين لم تكن عاهاتهم لتحـــول بينهم وبين تسنم الذرى))[٣].

نذكر فيما يأتي الحالات النادرة لتشوهات الولادة التي جاء ذكرها في كتب التراث الطبي والتي استطعنا جمعها :

أ- <u>التوائم</u> :جاء في كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين لعريب القرطبي : ((فمن ذلك توأمان ولدا ملتصقين بطونهما ووجوهما بعضهما إلى بعض وصبي ولد برأسين))[٤].

ويروي ابن أبي أصيبعة عـــن الـــرازي ((أنـــه أول عهـــده دخـــل البيمارستان ورأى صبيا مولود بوجهين ورأس واحد فسأل الأطبـــاء عـــن سبب ذلك فاخبره به فأعجبه ما سمع))[٥].

---

[٣] الجاحظ ، أبو عمرو بن بحر : البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق عبـــد السلام هارون ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٢ ، مقدمة المحقق .

[٤] القرطبي ، عريب بن سعد الكاتب : خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين (مـــصدر سابق) ، ص٣٢ .

[٥] ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء في طبقات الأطباء (مصدر سابق) ج ٢ ، ص ٣٢٣.

ويروي التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) في نشوار المحاضرة حالة أخرى نذكرها باختصار وتصرف يقول : ((حدثنا جماعة من أهل الموصل أنه سنة نيف وأربعين وثلاثمائة أرسل صاحب أرمينية إلى ناصر الدولة في الموصل رجلين للأعجوبة فيهما ، وكان لهما نحو ثلاثين سنة ، وهما ملتزقان من جانب واحد ومن ناحية الخصر إلى تحت وأن أباهما حدثهم أنه لما ولدا ، أرادا أن يفرق بينهما قيل له أنهما يهلكان لأن التزاقهما من جانب الخاصرة .

وجمع ناصر الدولة الأطباء وطلب منهم الفصل بينهم . وبعد توجيه أسئلة استنتجوا أن لهما جوف واحد ، وسرة واحدة ، ومعدة واحدة ، وكبد واحد ، وطحال واحد وليس في موضع الالتصاق أضلاع فعلموا أنهما إن فصلا هلكا ووجدوا أن لهما ذكرين وأربع بيضات .

وبعد مدة خرجا إلى بلادهما فاعتل أحدهما ومات وبقي أياما حتى أنتن وأخوه الحي لا يمكنه التصرف إلى أن لحق الحي علة فمات أيضا فدفنا جميعا))[٦].

يمكن اعتبار هذين التوأمين من أقدم الحالات في التاريخ حيث أن الحالات الشبيهة سميت فيما بعد (التوأمين الساميين) نسبة إلى توأمين ولدا بسيام في جنوب شرق آسيا سنة ١٨١١ م لأبوين صينيين .

أما الحالة الأخرى التي ذكرها القزويني فهي : ((ومنها ما روي عن الشافعي ــ رضي الله عنه ــ قال : دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت فيها إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن امرأة ومن وسطه إلى فوقه بدنان مفترقان

---

[٦] التنوخي ، أبي علي المحسن : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

بأربع أيدي ورأسين ووجهين وهما متقابلان ويأكلان ويشربان ويغضبان ويصطلحان ، ثم غبت عنهما سنين ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الجسدين توفي وربط من أسفله بحبل وترك حتى ذبل ثم قطع ، فعهدي بالجسد الآخر في السوق ذاهبا وجائيا)).

وهناك ذكر لعدد من التوائم جاء ذكرها في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير نذكرها حسب تسلسل ذكرها :

١- جاء في حوادث سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ((وفيها ولدت صبية بباب الأزج – في بغداد – ولدا برأسين ورقبتين ووجهين ، وأربع أيد على بدن واحد))[٧].

٢- وذكر في حوادث سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ((وفيها ولد ببغداد طفل له رأسان، وذلك أن جبهته مفروقة بمقدار ما يدخل فيها ميل))[٨].

٣- وذكر أيضا في حوادث سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ((وفي هذه السنة ولدت امرأة ببغداد ولدا له رأسان وأربع أرجل ويدان ومات في يومه))[٩].

٤- وذكر العسقلاني في حوادث سنة ٧٨٧ هـ ((وفيه أحضرت إلى أحمد بن يلبغا صغيرة ميتة لها رأسان ، وصدر ويدان فقط ومن تحت السرة صورة شخصين كاملين كل شخص بفرج أنثى ورجلين فشاهدها الناس ، وأمر بدفنها))[١٠].

---

[٧] ابن الأثير ، عز الدين الشيباني : الكامل في التاريخ ، دار صادر – بيروت ، ١٩٧٩ ، ج ١٠ ، ص ٥٢ .

[٨] المصدر نفسه ، ج١٢ ، ص ١٧١ .

[٩] المصدر نفسه ، ج١٢ ، ص ٢٠٦ .

[١٠] العسقلاني ، ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العصر ، الطبعة الأولى، ج٢ ، ص ١٩٠.

٥- وذكر ابن كثير في حوادث سنة ٧٤٣ هـ((واشتهر في أوائل رمضان أن مولودا ولد له رأسان وأربع أيدي ... فأحضره أبوه ... فنظرت إليه فإذا هما ولدان مستقلان ، فكل قد اشتبكت أفخاذهما بعضهما ببعض ، وركب كل واحد منهما ودخل في الآخر والتحمت فصارت جثة واحدة وهما ميتان ، فقالوا أحدهما ذكر والآخر أنثى))[١١].

ب - **حالات الخنثى التي ذكرها المؤرخون :**

١ - الحالة التي ذكرها ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٧٢ هـ[١٢]:

((وكتب إلي بعض الوعاظ أن امرأة تقول كان رجل إذا رآني في الطريق مشى إلى جانبي وتعرض لي ، فقلت له أنا لا أوافق إلاّ على الحلال فتزوج بي عند الحاكم ، وقضيت معه مدة مديدة يأتيني كما يأتي الرجل المرأة ثم عظمت بطنه وقال لي حبلت فاعملي لي دواء الإسقاط فعملت له فولد وقد حضرت المجلس أنا وهو فما حكمنا ؟ فقال الواعظ هذا النكاح ما يصح لأنه بالولادة انكشف أنه امرأة وتعجب الناس من حال هذا الخنثى الذي كان يأتي ويؤتى)) .

٢ - الحالة التي ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٦٢٣ هـ[١٣]:

((وفيها اصطاد صديق لنا أرنبا فرآه وله انثيان وذكر وفرج أنثى ... وهو أنثى ، وانقضت السنة فصار ذكرا ، فإن كان كذلك وإلاّ

---

[١١] ابن كثير ، الحافظ أبي الفداء : البداية والنهاية ، الجزء ١٤ ، ص ٢٠٦ .

[١٢] ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الدار الوطنية ، بغداد ١٩٩٠ . الجزء التاسع ، ص ٢٦٦ .

[١٣] ابن الأثير ، الشيخ عز الدين أبي الحسن الشيباني : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ ج١٢ ص٤٦٧ .

فيكون الأرنب كالخنثى في بني آدم ، يكون لأحدهم فرج الرجل وفرج الأنثى كما أن الأرنب تحيض كما تحيض النساء .

فإني كنت بالجزيرة ، ولنا جار له بنت اسمها صفية ، فبقيت كذلك حتى نحو خمس عشرة سنة ، وإذا طلع لها ذكر رجل ، ونبتت لحيته فكان له فرج امرأة وذكر رجل)) .

٣ – الحالة التي ذكرها ابن كثير في حوادث سنة ٧٥٤ هـ[١٤]:

((وجدت في بعلبك شابا فذكر لي من حضر أن هذا الذي كان أنثى ثم ظهر له ذكر)) وقد سألته فأجاب ((كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة ، وزوجوني بثلاث أزواج لا يقدرون علي ، وكلهم يطلق ثم اعترضني حال غريب فغارت ثدياي وصغرت ، وجعل النوم يعتريني ليلا ونهارا ، ثم جعل يخرج محل الفرج شيء قليلا قليلا ، ويتزايد حتى برز شبه ذكر وانثيان)) .

٤ – الحالات التي ذكرها ابن العماد الحنبلي :

الحالة الأولى – في حوادث سنة ٨٢٥ هـ[١٥]:

((كما قال ابن حجر ولدت فاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني من بعلها تقي الدين رجب ابن العماد قاضي الفيوم ولدا خنثى له ذكر وفرج أنثى وقيل له أن له يدين زائدتين نابتتان في كتفه ، وفي رأسه قرنان كقرني الثور فيقال ولدته ميتا ويقال مات بعد أن ولدته)) .

---

[١٤] ابن كثير ، أبي الفداء : البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ ، ج١٤ ، ص٢٤٨ .

[١٥] الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي بن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ٧ ، ص ١٦٨ .

الحالة الثانية – في حوادث سنة ٩١١ هـ[١٦]:

((وفيها توفي الشيخ العارف بالله تعالى الصوفي محمد بن سلامة الهمذاني الشافعي ، قال الحمصي ضرب بالمقارع إلى أن مات بسبب أنه تزوج بامرأة خنثى واضح ودخل بها وأزال بكارتها)) .

ج – <u>الحالات النادرة الأخرى :</u>

١ – من الحالات النادرة لتشوهات الخلقة ما رواه القفطي عن يوحنا بن ماسويه ((وكانت ليوحنا جارية رومية ... فحبلت ثم ولدت منه جارية ليس لها إلا رجل واحدة وهي اليسرى وأذن واحدة وهي اليمنى ...))[١٧].

٢ – جاء في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني ((حدثني بعض الفقهاء بالموصل أنه شاهد في الأكراد ، وهم جيل يسكنون بعض جبال الموصل في زماننا ، إنساناً طوله تسعة أذرع وهو صبي ما بلغ الحلم وكان يأخذ بيد الرجل القوي فيرميه خلفه ، واراد صاحب الموصل أن يستخدمه فذكروا له إن في عقله خبلا لا يصلح لذلك))[١٨].

٣ – الحالة التي ذكرها كمال الدميري (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) في كتابه حياة الحيوان الكبرى رواية عن علي بن نصر الفقيه المالكي بأنه

---

[١٦] المصدر نفسه : ج ٨ ، ص ٥٥ .

[١٧] القفطي : جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء – مكتبة المثنى بغداد ، ص ٣٨٨.

[١٨] القزيني : عجائب المخلوقات ، حاشية كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري ، ج٢ ص٣٨٩ .

((زوجت أيام عضد الدولة بن بويه بعض غلمانه الأتراك صبية في جوارنا وكان لها ولوالدتها أنس بدارنا وكانت من الموصوفات بالستر والعفاف ومضى على ذلك سنتان فحضر إلي الغلام التركي وقال يا سيدي هذه المرأة التي زوجتني بها قد ولدت مني ابنا ولا أشكو شيئا من أمرها ولا أنكر غير أنها ما أرتني ولدي منذ ولدته وكلما طالبتها به دافعتني عنه وأريد أن تستدعيها وتسألها عن ذلك ، قال فاستدعيت والدتها فحضرت وخاطبتها من وراء ستار على ما قاله زوج ابنتها فأسرت إلي وقالت يا سيدي صدق فيما حكاه وإنما دافعناه عن هذا لأنا قد بلينا ببلية قبيحة وذلك أن زوجته ولدت منه أبلق من رأسه إلى سرته ابيض وبقية بدنه أسود قال فسمع التركي قولها أبلق فصاح ابني ابني وهكذا كان جدي ببلاد الترك وقد رضيت ففرحت المرأة بقوله وانصرفت وأظهرت الولد))[١٩].

ثانيا – أسباب التشوهات الخلقية وتغيرات الشكل والهيئة :

علل الأطباء العرب والمسلمون حدوث التغيرات في شكل الفرد وهيئته وكذلك حدوث التشوهات الخلقية تعليلا فيه القليل مما لا نقبله اليوم على سبيل المثال :

١. تأثير النجوم على الجنين داخل الرحم : حيث اعتقدوا بأن الجنين في كل شهر يقع تحت تأثير نجم معين مثل القمر والمريخ والزهرة ....
٢. الاختلال الحاصل بين مكونات عناصر الجسم حسب نظرية الأخلاط الأربعة (الدم ، والبلغم ، والصفراء ، والسوداء) .

---

[١٩] الدميري : كمال الدين – حياة الحيوان الكبرى ، المكتبة الإسلامية ، ج ١ ص ٣٤ .

أما تعليلاتهم المقبولة علميا اليوم فهي :

١ – الأسباب الوراثيـــة :

من الثابت اليوم أن في كل خلية في جسم الإنسان (وعددها ملايين الملايين) نواة وفي هذه النواة تتركز عناصر مهمة جدا تسمى الجسيمات الملونة أو الصبغيات (الكرموسومات Chromosomes) (وعددها في كل خلية ٤٦ صبغيا ، اثنان وعشرون زوجا من هذه الصبغيات مسؤولة عن بنيان الجسم وصفاته ، واحد منها فقط مسؤول عن تعيين الجنس ، ذكر أم أنثى وهي في مجموعها تحمل أسرار الإنسان مختزلة ومختصرة . وكل واحد من هذه الصبغيات مكونة من أحماض أمينية ترتبط ببعضها على هيئة سلالم حلزونية ملتقية حول محورها ، وتشكل كل ثلاثة أحماض أو أربعة جسيما يسمى الناسلة (الجين) وكل ناسلة تحمل صفة من صفات الوراثة كالطول أو القصر ، لون العينين كما تحمل الأسرار التي تجعل هذه الخلية تفرز الهرمون أو تلك المادة الهاضمة أو تجعلها تفرز المادة الصلبة التي تكون العظام ... الخ . كما أنها تنقل الصفات والملامح والطبائع الحسنة والسيئة والأمراض الوراثية ومنها النشوهات الخلقية من الآباء إلى الأبناء جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة .

إن هذه الحقيقة العلمية أكدها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل أربعة عشر قرنا كما ذكرنا سابقا في فصل الإسلام والطفل .

وهنا تأكيد من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أن المسخ لا يتناسل حتى لو عاش فقد ورد عن عائشة ــ رضي الله عنه ــ سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هل القردة الموجودة من نسل بني

إسرائيل مسخهم الله قردة فكان جوابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ **((ما جعل الله لمسخ من نسل))** .

ونحن نعلم أن الأجنة التي تولد ممسوخة إما أن تولد ميتة أو تعيش بضعة أيام ثم تموت وإذا كانت الإصابة أخف فإنها تعيش ولكنها لا تتناسل مثل حالة ترنر Tuner أو حالة كلاينفلتر Kleinfelter Syndrome .

ويعزى ابن سينا أسباب التغيرات والتشوهات في أعضاء الإنسان إلى التغيرات الحاصلة في مني الرجل وذلك حسب رأيه بأن مني الذكر يفعل بقوته كالخمائر (الأنفحة) الفاعلة باللبن ، وأن فيه قوة مصورة تنزع إلى شبه ما انفصلت عنه وهي التي يصدر عنها تخطيط الأعضاء وتشكيلها .

فيقول : ((فأما القوة المصورة في مني الذكر فتنزع في التصوير إلى شبه ما انفصلت عنه إلاّ إن كان عائق ومنازع ، والقوة المتصورة في مني الأنثى تنزع في قبول الصورة إلى أن تقبلها على شبه ما انفصلت عنه))[٢٠].

وينفي ابن سينا رأي أبقراط في مصدر المني حيث يقول : ((وأنا أرى أن المني ليس يجب أن يكون من الدماغ وحده ... بل يجب أن يكون له من كل عضو رئيس عين وان تكون الأعضاء الأخرى ترشح أيضا إلى هذه الأصول وبذلك يكون الشبه ولذلك يتولد من العضو الناقص عضو ناقص ....)). وفي موضع آخر يذكر بأن مني الرجل المصاب بأمراض في أعضائه لا يكون منيا سليما يقول : ((ومني مؤوف الأعضاء قلما يولد سليما))[٢١].

---

[٢٠] ابن سينا ، أبو علي الحسين : القانون في الطب (مصدر سابق) ، ج ٢ ، ص ٥٣٣.

[٢١] ابن سينا ، أبو علي الحسين : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٣٤ – ٥٣٦ .

إن ذكر المشاركة بين كل أجزاء الجسم وبين المني قول صحيح ودقيق يدعو الى الإعجاب ، حيث استطاع إدراك ذلك على الرغم من عدم معرفته تركيب الحيامن المنوية وجهله بعلم الكرموسومات والجينات .

وقد دلل الجاحظ في كتابه : ((البرصان العرجان والعميان والحولان)) على مسألة الوراثة بالنسبة لبعض الأمراض والتشوهات الخلقية بإفراده فصلا (في ذكر العرج إذا عم أهل بيت وجرى بالقوم منه على عرق أو غير ذلك من العلل والآفات).

ومن الأمثلة التي ذكرها ((كان بنو الحذاء عرجا وكانت أرجلهم معوجة شديدة الاعوجاج)) .

((وبنو بن حرقوص صلعائهم كثير))[٢٢].

٢ – عمر الوالدين :

تؤكد الأبحاث الطبية بأن نسبة الأطفال المشوهين والمعوقين تزداد تبعا لازدياد عمر الأم ولاسيما بعد سن (٤٥) . ((وتذكر بعض المصادر بعد سن ال ٣٥)).

وقد تنبه العلماء العرب والمسلمون لذلك فحسب رأي أبي الحسن البصري الماوردي : ((إن أنجب الأطفال خلقا وخلقا من كان سن أمه بين العشرين والثلاثين ، وسن أبيه بين الثلاثين والخمسين)) .

---

[٢٢] الجاحظ ، أبو عمرو بحر : البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٢ ، ص ٣٦٧ – ٣٧٢ .

وأما الشيخ أبو الفرج بن الجوزي فيقول في صيد الخاطر : ((ويؤثر هكذا في الولد ، فإنه إذا كانا شابين ... كان الولد أقوى من غيرهما)) .

وكما مر سبقا في شروط المرأة المهيأة للحمل نجد البلدي يقول : ((وتكون من أبناء خمسة عشر سنة وإلى تمام الأربعين))[٢٣].

٣ – مسألة الهرمونات :

نجد في أقوال عبد اللطيف البغدادي في مقالته عن الحواس ، إشارات لعمل بعض الهرمونات وعلاقتها بتغيرات الشكل والتشوهات الخلقية من ذلك (القوة النامية) التي تشبه عمل هرمون النمو (والقوة الغاذية) التي تقابل عمل الهرمونات الابتنائية (والالتحاء) الذي يوازي عمل هرمون الجنس يقول : ((إن القبح إنما هو عدم تناسب الأعضاء ورداءة السحنة وقلة النضارة . وأما القماءة فهي محق الخلق ونقصان النمو والحسن ، وأما الجمال فهو عظم الصورة لتناسب الأعضاء وتمام حسنها وقد يعرض لبعض الصبيان القبح لعدم التناسب ورداءة السحنة وقلة النضارة ، وتعرض له القماءة لضعف النمو ، فإذا راهق والتحى حصل له باللحية اعتدال تناسبت وسترت من الأعضاء ما كان شيئا وسبب القبح ثم حصلت له النضارة بحسب سن الشباب . فإنها سن من شأنها أن تولد الدم وتغلب فيها الحرارة وتقل الرطوبة ويحدث الجمال بالنمو الكائن عند الإنبات ، مضافا إلى التناسب الحاصل باللحية مع النضارة .

---

[٢٣] البلدي ، أحمد بن محمد : تدبير الحبالى والأطفال والصبيان (مصدر سابق) ، ص١٠.

وبعض الصبيان يكون معتدل الشكل حسن الصورة ، فإذا التحى اختل التناسب ، ونقص الاعتدال ، وتعرض له القماءة من القوة النامية ، ونفاذ من المادة القابلة)) .

ويضيف البغدادي : ((واعلم أن كثيرا ما تجدد الحسن والجمال عند الإنبات وبعده لسببين سوى ما تقدم ، أحدهما أن تكون أمراض ممكنة في بعض الأعضاء أو في المزاج نفسه ، فإذا نهضت عند البلوغ وتنبهت قويت على شفاء تلك الأسقام وتصحيح تلك الأعضاء فعاد البدن حينئذ إلى اعتداله ، فحسنت لذلك حاله))[٢٤].

والاختلاف بين القوة الغاذية والقوة النامية واضح في ظواهر يذكرها عبد اللطيف البغدادي فيقول[٢٥]: ((إنك ترى هذه الاختلافات في الذين وقف بهم النشء واستمر فيهم فعل الغاذية وفي الذين خارت فيهم القوة الغاذية واستمر فيهم النمو ، بحيث ترى الواحدة منها قوية والثانية ضعيفة أو بالعكس . نرى مثلا الصبيان المعلولين أو المبطونين بطولون والشيوخ يخصبون ، ونرى القروح تندمل والجراح تلتئم ، والعظام تتجبر في أبدان المسلولين)) .

((ونحن نطلع على هذه الآراء ، لابد أن نعترف بأنها تنم عن تحليل دقيق لعمليات النشء والنمو والتطور وكأننا نطلع إلى آخر ما عرف من اشتراك الجينات الممثلة لكل جزء من الجسم في تركيب كروموسومات

---

[٢٤] البغدادي ، عبد اللطيف : مقالتان في الحواس ، تحقيق بول غليونجي و د . سعيد عبدة، الكويت ١٩٧٢م ، ص ١١٩ – ١٢١ .

[٢٥] المصدر نفسه : ص ٩٦ .

المني ، وعلى آخر ما عرف عن هرمون النمو وعن تباين أفعاله عن الأفعال التي لا ترمي إلاّ إلى مجرد زيادة الحجم أو الوزن واستقلالها إلى حد بعيد عن الحالة الغاذية ، بل عن اتجاه هذا الهرمون أحيانا اتجاها عكسيا ، مثلا في الأقزام البدان المصابين بتوقف وظيفة الفص الأمامي من الغدة النخامية أو بخلل في المراكز العصبية المسيطرة على هذه الغدة أو بقلة إفراز الغدة الدرقية .

وباختصار فإننا نرى الغذاء يتحول إلى مني في الانثيين أي الغدد الجنسية بفعل القوة العاملة على بقاء النوع ، وبالتحديد بفعل القوة المولدة ، ثم تفصل القوة المولدة أجزاء المني التي استمدتها من جميع أعضاء الجسم إلى أمزجة تلائم أمزجة الأعضاء عضوا عضوا ثم تسلط عليها القوة النفسانية والطبيعية والحيوانية لتحويلها إلى معدتها ، ومن ثم تقع هذه الأمزجة تحت تأثير القوة المصورة الطابعة المخدومة من القوتين الغاذية والنامية والتي تخطط الأعضاء وتشكل الأشكال والتجاويف والمشاركة والملامسة والخشونة))[٢٦].

٤ – الأسباب الأخرى :

جمع ابن سينا الأسباب المرضية التي تؤدي إلى فساد الشكل وسوء الخلقة في الأطفال في أرجوزته (الأبيات ٢٦٩ – ٢٧٩) بشكل موجز ودقيق وشامل وكأنه يتكلم بلسان أطباء اليوم فمن بين ذلك ذكر الأسباب التي تؤدي إلى التشوهات الولادية هي :

---

[٢٦] غليونجي ، د . بول : الجنس والنمو في طب العصر الإسلامي ، أبحاث ندوة الطفل في الطب العربي ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٨٢ .

أ. التغيرات في غذاء الحامل .

ب. التغيرات المرضية في تركيب الرحم .

ج. إصابات الولادة .

يقـــول :

((والسبب المفســـــد للأشكـــال .....يكون في إعـــداد ذي الأمثـــال بسبـــب فـــي الرحـــــم ردي ..... أو قـــل الانقياد مـــن منـــــي أو مـــن ولاد ساء في الخروج .....يحدث سوء الشكـــل بالتـــعويج والظئـــر إذ تسيء في القماط .....أو رضاع منـــه أو انحـــطـــاط أو ربـــما كثـــرت الطعـــاما ..... أو ربمـــا أساءت الفطامـــا))

وقبل أن نختم هذا القسم لابد من ذكر تفسير آخر طريف لسوء الخلقة ذكره ابن سينا في القانون معتمدا على علم الجمال إذ عرفه بأنه انعدام التعـــادل بين الأعضاء ، يقول في فصل ((علامات من ليس بجيد الحال في خلقته)) :

((هذا هو الذي لا يتشابه مزاج أعضائه بل ربما تعاندت أعضائه في الخروج من الاعتدال فخرج عضو إلى مزاج والآخر إلى ضده فإذا كانت بنيته غير متناسبة كان رديئا حتى في فهمه وعقله مثـــل الرجـــل العظـــيم البطن القصير الأصابع المستدير الوجه العظيم الهامة أو الصغير الهامة ، لحيم الجبهة والوجه والعنق والرجلين وكأنما وجهه نصف دائرة فإن كـــان فكاه كبيرين فهو مختلف جدا وكذلك إن كان مستدير الرأس والجبهة لكـــن وجهه شديد الطول ورقبته شديدة الغلظ في عينيه بلادة حركة فهو أيضا من أبعد الناس عن الخير))[٢٧].

---

[٢٧] ابن سينا ، أبو علي الحسين : القانون في الطب (مصدر سابق) ، ج ١ ، ص ١٢٠.